CC BY

الثنائية (الشرقية – الغربية) في تخطيط المدن العراقيَّة وآثارها الاجتماعيَّة

دراسة تحليليَّة في مدينة الموصل

يوسف حامد محمد عبدالله السبعاويّ *

تأريخ التقديم: 2022/9/14 تأريخ القبول: 2022/10/8

المستخلص:

امتاز تخطيط المدن العراقية ومنها مدينة الموصل منذ النشأة بالطابع (الشرقي) وذلك بضغط من عوامل عديدة: (اجتماعية، واقتصادية، ونفسية، وأَمنية، وحضريَّة) فرضتها المرحلة الزمنية والظروف والإمكانات التي كان يعيشها المجتمع آنذاك، غير أن العديد من العوامل (الاقتصادية والسياسية والسكانية والتكنولوجية التَّيارات الفكرية ناتجة عن الغزو الثقافي الغربي) التي مرت على البلاد وخاصةً في مُدَّة الستينات من القرن الماضي أحدثت تغيراً ملحوظاً في الكثير من المفاهيم الاجتماعية للمجتمع العراقي ودعت القائمين على تخطيط المدن العراقية إلى تغيير عقيدتهم الفكرية لهوية المدينة (العربية الإسلاميَّة) عند تأهيل وتوسعة المدن من حيث الشكل والمضمون لتتماشى مع متطلبات العصر الحديث .

فما عادت مدينة الموصل تلك المدينة التي عرفت بالتخطيط التقليدي (القديم) ذات الأزقة الضيقة وغير النافذة والمُرَجِعة والوحدات السكنية المتلاصقة التي تحكي قصة حياة سكانها وعلاقاتهم الاجتماعية المتينة وشعورهم بالانتماء للمكان والراحة النفسية والأَمان، بل تحوَّلت إلى مدينة ذات تخطيط ثنائي يطغى على تخطيطها الطابع (الغربي) ذات الشوارع العريضة والوحدات السكنية المتباعدة التي أفرزت آثاراً اجتماعية متنوعة (سلبية و إيجابيَّة) على سكان المجتمع الموصلي .

* أُستاذ مساعد/قسم علم الاجتماع/كلية الآداب/جامعة الموصل.

وعلى الرغم من أن ما سيتم طرحه في ثنايا الدراسة قد يشوبه تصور للميل نحو التخطيط (الشرقي) على حساب التخطيط (الغربي) الحديث، غير أن هذه الدراسة تمثل دعوة للقائمين على تخطيط مدينة الموصل إلى الدمج بين الفكرتين (الشرقية والغربية) في فكرة واحدة تستفيد من الإيجابيات وتجاوز السلبيات من أجل الوصول إلى نمط تخطيطي حديث لمدينة جديدة تتماشى مع متطلبات العصر الحديث وتحقق البعد الاجتماعي المنشود.

الكلمات المفتاحية: الثنائية، التخطيط الشرقي، التخطيط الغربي، مدينة الموصل، المجتمع.

- **تسليط الضوء :**

1- يمتاز تخطيط مدينة الموصل باحتوائها على ثنائية (الشرقي والغربي) .
2- التخطيط (الشرقي) التقليدي أو القديم له آثار (اجتماعية، اقتصادية، نفسية، أمنية، حضرية) إيجابيَّة وسلبية على المجتمع الموصلي (سابقاً وحالياً) .

- التخطيط (الغربي) الحديث القديم له آثار (اجتماعية، اقتصادية، نفسية، أمنية، حضرية) إيجابيَّة وسلبية على المجتمع الموصلي (سابقًا وحاليًا) .
- اقتراح فكرة تخطيطية جديدة تدمج بين الفكرتين (الشرقية والغربية) .
- **المقدمة :**

يكاد لا يوجد في العالم مدينة تخلو من الثنائية (القديمة والحديثة) في تخطيطها العمراني، كون أغلبها نشأت منذ فترات زمنية طويلة تمتد على الأقل إلى ما قبل الحداثة وعصر التكنولوجية واقتصاد السوق، فعادةً ما يتشكل تخطيط المدن منذ بداياتها وفقاً للحاجة الآنية لمجتمع المدينة والامكانات المادية المتاحة الَّتي غالباً ما تكون بسيطة ومحدودة، إلَّا أنَّ زيادة سكان المدن ودخول عوامل التحضر والتطور الاقتصادي وتقدم وسائل النقل والاتصالات تفرض تغيراً اجتماعياً على واقع حياة سكان المدن وتجبر القائمين على تخطيط المدينة إعادة تأهيلها وتوسعتها وفقاً لنمط تخطيطي جديد يختلف عن سابقه من حيث الشكل والمضمون .

والحال نفسه في معظم المدن العراقية ولاسيما مدينة الموصل – مدار البحث – إذ نشأت المدينة وفقاً لنمط تخطيطي (شرقي) قديم أو التقليدي عرف بالنسيج العمراني المترابط والازقة الضيقة والمتعرجة والوحدات السكنية المتلاصقة التي سميت بـــ (البيوت الشرقية) وقد كان لهذا النمط آثاراً إيجابيَّة مهمة على المجتمع الموصلي استمر حتى ستينات القرن الماضي، غير أن عوامل متنوعة مرت بالمدينة جعلت التخطيط (الشرقي) يظهر عجزه عن مواكبة بعض حاجات الواقع الجديد، فتغير الفكر التخطيطي نحو التخطيط (الغربي) الحديث الذي أخذ اسمه من الدول الغربية (أوربا وأمريكا) الَّذي ابلى بلاءً حسناً في بداياته وحقق آثار إيجابيَّة مميزة وخاصةً في بعض المجالات لكنه تسبب في ذات الوقت بآثار سلبية في مجالات أُخرى سيتم تفصيلها في قادم الدراسة .

- الاطار العام للدراسة :

أولاً : مشكلة الدراسة :

يتفق معظم المتخصصين في مجال تخطيط المدن بأن المدينة هي " وليدة المكان والزمان والحاجة "[1] لذلك فإنَّ عدم توفير حاجات المجتمع بشكل متكامل سيكون له آثار سلبية متنوعة تمس حياة المجتمع بشكل مباشر أو غير مباشر، وعلى الرغم من أن مدينة الموصل اتَّسمت في مرحلة النشأة بالتخطيط (الشرقي) النابع من حاجات المجتمع الموصلي آنذاك، غير أن تطور الحياة وتعقدها وخاصةً في فترة الستينات من القرن الماضي جعل هذا النمط غير قادر على تلبية بعض حاجات المجتمع مما تسبب بآثار (اقتصادية وحضرية) سلبية الرغم احتفاظه بالإيجابيات (الاجتماعية والنفسية والأَمنيَّة) وإن كانت ليس بالمستوى السابق، وفرضت التكنولوجية الحديثة واقعاً حضرياً جديدًا على المدينة وغير تخطيطها نحو النمط (الغربي) الذي نجح مع بداياته في تحقيق آثار (اقتصادية وحضرية والأَمنية) إيجابيَّة كبيرة غير أَنَّه أَغفل الجوانب (الاجتماعية والنفسية) للمجتمع الموصلي، ومع تقادم

[1]– حسن الخياط . (1998) . المدينة الخليجية / اشكالية الأصالة والمعاصرة في التخطيط والعمارة، مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية، العدد 10، ص37 .

الزمن انضمت معها الجوانب الامنية وحتى الحضرية التي تأثرت بالأحداث الأَخيرة التي مرت بها البلاد .

ثانياً : هدف الدراسة :

1- تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق هدف رئيس وهو " التعرف على الواقع الثنائي لتخطيط مدينة الموصل (الشرقي والغربي) وآثاره (الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والامنية والحضرية) على المجتمع الموصلي (سلباً وايجاباً) .

2- كما تحمل الدراسة في طياتها هدفاً آخر وهو " مقترح بسيط لفكرة تخطيطية جديدة تدمج بين نمطي التخطيط (الشرقي والغربي) في فكرة واحدة يتجاوز بها مدينة ومجتمع الموصل سلبيات كل منهما وتستفيد من إيجابياتهما .

ثالثاً : أهمية الدراسة :

تنبع أهمية الدراسة الحالية من أهمية ما يخلفه تخطيط المدينة من آثار (اجتماعية واقتصادية ونفسية وأمنية وحضرية) سلبية وإيجابيَّة تمس واقع حياة المجتمع الموصلي، وان نتائجها يمكن أن تكون الدليل العلمي لأصحاب القرار التخطيطي في المدينة في تعزيز الإيجابيات وتجاوز السلبيات، وتُعدُّ الدراسة اضافة بسيطة إلى المكتبة العراقية في مجال علم الاجتماع الحضري .

رابعاً : فرضية الدراسة :

1- تفترض الدراسة الحالية أن ثنائية تخطيط مدينة الموصل (الشرقي والغربي) لهما آثار (سلبية وإيجابيَّة) متنوعة على المجتمع الموصلي .

2- إنَّ دمج ثنائية (الشرقية – الغربية) في تخطيط مدينة الموصل في فكرة جديدة يكون لها آثار (إيجابيَّة) متنوعة على المجتمع الموصلي .

خامساً : منهجية الدراسة :

لتحقيق هدف الدراسة كان لابد على الباحث الاعتماد على عدة مناهج علمية معتمدة في الدراسات الاجتماعية والحضرية وهي :

1- المنهج التاريخيّ: إذ تم استخدامه في وصف تخطيط مدينة الموصل (الشرقي) القديم.

2- المنهج الوصفي : فقد تم استخدامه في وصف الواقع الحضري لمدينة الموصل ذات التخطيط الثنائي (الشرقية الغربية).

3- المنهج التحليلي : بتحليل الآثار (الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والأمنية والحضرية) التي خلفتها ثنائية التخطيط (الشرقي والغربي) على المجتمع الموصلي .

سادساً : حدود الدراسة:

1- الحدود الزمنية : فقد امتدت الدراسة من بداية العام الحالي 2022 حتى بداية شهر أيلول للعام نفسه .

2- الحدود المكانية: إذ شملت الدراسة مدينة الموصل بشقيها القديم (مركز المدينة الحالي) والحديث (بقية أجزاء المدينة) .

سابعاً : الدراسات السابقة :

من أجل الاختصار في المعلومات واختيار الدقيقة منها سيتم إدراج بعض الدراسات التي سبقت الدراسة الحالية بشكل سريع (محلية وعربية وأجنبيَّة)، متنوعة (رسائل ماجستير وأطاريح دكتوراه وبحوث علمية وكتب)، ومن ثم مناقشتها من حيث أوجه التشابه والاختلاف وكيف تم الاستفادة منها في الدراسة الحالية وكما يأتي :

أولاً : الدراسات المحلية :

1- دراسة عبدالله مرقص رابي الموسومة " التحضر في مدينة الموصل مبين 1947 – 1987 " في عام 1995[1] .

2- دراسة نادية صباح الكبابجي الموسومة " تشوه مورفولوجية المدينة وانعكاساتها على الحياة الحضرية / دراسة ميدانية في مدينة الموصل بعد سنة 2003 " في عام 2021[1].

[1]- عبدالله مرقص رابي . (1995) . التحضر في مدينة الموصل ما بين عامي 1947-1987، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد .

3- دراسة يوسف حامد الملا الموسومة " الضوابط الاجتماعية في اعداد التصاميم الاجتماعية للمدن / منطقة الدراسة مدينة الموصل " في عام 2003[2] .

ثانياً : الدراسات العربية :

1- دراسة عثمان محمد غنيم الموسومة " تخطيط الخدمات والمرافق الاجتماعية من منظور عمراني " عام 2013[3] .

2- دراسة زناتي جلول الموسومة " النمو الحضري وانعكاساته على المحيط العمراني " عام 2015[4] .

3- دراسة فؤاد بم غضبان وفاطمة الزهراء بركاني الموسومة " المشروع الحضري / اداة جديدة للتخطيط الحضري " عام 2016[5] .

ثالثاً : الدراسات الأَجنبيَّة :

1- دراسة ماشلو بالبو الموسومة " التخطيط الحضري وتشظي مدن الدول النامية " عام 1993[6] .

---

[1]- نادية صباح الكبابجي . (2021) . تشوه مورفولوجية المدينة وانعكاساتها على الحياة الحضرية / دراسة ميدانية في مدينة الموصل بعد عام 2003، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل .

[2]- يوسف حامد الملا . (2003) . الضوابط الاجتماعية في اعداد التصاميم الأساسية للمدن / منطقة الدراسة مدينة الموصل، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز التخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد .

[3]- عثمان محمد غنيم . (2013) . تخطيط الخدمات والمرافق الاجتماعية من منظور عمراني، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان .

[4]- زناتي جلول . (2015) . النمو الحضري وانعكاساته على المحيط العمراني، دار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان .

[5]- فؤاد بن غضبان وفاطمة الزهراء بركاني . (2016) . المشروع الحضري / ادارة جديدة للتخطيط الحضري، دار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان .

[6] Balbo, M. (1993). Urban planning and the fragmented city of developing countries. *Third World Planning Review, 15*(1), 23.

2- دراسة فليب هوبكنس الموسومة " التنمية العمرانية / منطق صنع الخطط " عام 2001[1] .

3- دراسة فيتور اوليفييرا و باولو بينو الموسومة " التقييم في التخطيط الحضري / التطورات والآفاق " عام 2010[2] .

فعند الرجوع للدراسات آنفة الذكر نلاحظ النقاط الآتية :

1- الدراسات المحلية : إذ تشابهت جميعها مع الدراسة الحالية من حيث (تناولها لمدينة الموصل واعتمادها على المنهجية العلمية ذاتها)، لكن ما يميز الدراسة الحالية عنها هي :

أ- حداثتها في تناول مدينة الموصل .

ب- شمولها لجوانب أكثر منها (اجتماعية واقتصادية ونفسية وأمنية وحضرية) .

ت- ربطها بين تخصصي (التخطيط الحضري) و (علم الاجتماع) .

2- الدراسات العربية : إذ تم الاستفادة منها بما تم طرحه من مواضيع تتعلق بالآليات العملية في اعادة تخطيط المدن وتوسعتها .

3- الدراسات الأَجنبيَّة : فقد تم الاعتماد عليها في التأصيل النظري للدراسة بما يتم طرحة من وجهات نظر علمية بحثة في تخطيط المدن .

وفي هذا المقام يود الباحث أن يعلن بأن الدراسة الحالية لا يوجد فيها تضارب في المصالح فيما يتعلق بنشر هذه الدراسة .

- المناقشة :

من أجل التعرف على الثنائية (الشرقية الغربية) في تخطيط مدينة الموصل بشكل مفصل وآثارها الاجتماعية على المجتمع الموصلي سيتم طرح مجموعة من المواضيع للنقاش، مع لفت النظر بأن الآثار الاجتماعية لا تشمل الجانب الاجتماعي (

---

[1] Hopkins, L. D. (2001). *Urban development: The logic of making plans* (Vol. 166). Island Press.

[2] Oliveira, V., & Pinho, P. (2010). Evaluation in urban planning: Advances and prospects. *Journal of Planning Literature*, *24*(4), 343-361.

البحت) فحسب بل كل ما يؤثر على حياة السكان من جوانب (الاقتصادية والنفسية والأمنية والحضرية) وكما يأتي :

أولاً : تخطيط مدينة الموصل (الشرقي) القديم :

يشمل هذا النمط من التخطيط جزء المدينة القديم و(مركزها الحالي) الذي يرجع تخطيطه إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب في سنة 20 هجرية[1]، وقد كان على شكل نصف دائرة وعلى تلة تقع على كتف نهر دجلة الايمن الَّتي تعرف اليوم بـــ (تلة قليعات)[2]، وامتاز تخطيط المدينة القديم بالطابع العضوي المترابط ذات الازقة الضيقة – التي لا تتجاوز عرضها في بعض الاحيان 1 م – فضلاً عن الازقة غير النافذة والمُرَجِعة والوحدات السكنية المتقاربة ذات التصميم الشرقي المنغلق إلى الخارج والمفتوح من الداخل (وكما في الشكل أدناه)، كما انقسمت المدينة القديمة إلى عدة محلات سكنية صغيرة أخذت تسمياتها من ديانة سكانها تارةً مثل (محلة اليهود ومحلة النصارى) من انتمائهم العشائري تارةً اخرى مثل (محلة المشاهدة ومحلة خزرج) .

[1] – أحمد الصوفي . (1970) . تاريخ بلدية مدينة الموصل، مطبعة الجمهور، الموصل، ص4 .

[2] – سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل، الجزء الاول، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1982، ص 9 .

صورة تبين التخطيط (الشرقي) القديم لمدينة الموصل

وقد كان لتخطيط المدينة (الشرقي) آثار إيجابيَّة متنوعة على المجتمع الموصلي وخاصةً في الفترة التي سبقت ستينات القرن الماضي تمثلت بما يلي :

1- الآثار الاجتماعية :

تبحث مجتمعات المدن العربية عموماً والمدن العراقية ومدينة الموصل على وجه الخصوص عن مكان ليس للسكن فحسب بل بيئة مناسبة تقوي أواصر العلاقات الاجتماعية فيما بينهم وتحقق الانتماء للمكان، وهذا ما حققه نمط التخطيط (الشرقي)، فالتقارب الفيزيقي الناتج عن صغر حجم مساحات الازقة التي تربط بين الوحدات السكنية عززت من فرص التعارف وقوت العلاقات الاجتماعية بين ساكنيها وزادت من عوامل التفاعل الاجتماعي الذي يعد اساساً للاندماج والانخراط في الحياة الاجتماعية المشتركة[1] الَّذي يشكل مع تقادم الزمن شعوراً حقيقياً للانتماء للمكان .

2- الآثار الاقتصادية :

ان مفهوم النظام الاقتصاد في المُدد القديمة يختلف جذرياً عن مفهومه الحالي، إذ كان اقتصاد المدينة القديمة يقتصر في الغالب على العمل (الحرفي والتجاري) البسيط الذي يعتمد على الخبرة المتوارثة التي يكتسبها الصانع الصغير من أحد اعضاء اسرته التي كانت تمثل النظام الاقتصادي الاول[2]، كما أَنَّه لا يتطلب مكاناً واسعاً أو وسائل نقل متطورة، بل يحتاج إلى دكاكين صغيرة تكون على مقربة من سكن صاحب الحرفة وتتوسط مجموعة من المحلات السكنية لتكون على مرمى المتبضعين، وهذا ما جعل لتخطيط المدينة (الشرقي) القديم آثار الاقتصادية إيجابيَّة على المجتمع الموصلي آنذاك .

---

[1] – هادي العنبكي، الابعاد الاجتماعية للتخطيط العمراني في الوطن العربي، سلسلة المائدة الحرة ،مطبعة اليرموك، بغداد، 1999، ص8 .

[2] – عبد الفتاح محمد فتحي و يوسف حامد السبعاوي، المهارات الحرفية وعلاقتها بالخلفية الاجتماعية الريفية والحضرية / دراسة ميدانية في مدينة الموصل، مجلة آداب الرافدين، العدد 97، السنة 49، جامعة الموصل، 2019، ص 667-694 .

3- الآثار النفسية :

بما أن الانسان مدني بطبعه يميل إلى الاجتماع[1] فان التقارب المكاني الذي يتصف به تخطيط المدينة القديمة يؤدي دوراً بارزاً في توفير فرص الاحتكاك وتبادل المشاعر الحميمة ويوفر القناعة والرضا للساكنين بالشكل الذي يحقق الحرية والأمان والخصوصية والموازنة بين الذات والمجموع[2]، وهو المعنى الحقيقي للعلاقات الاجتماعية المثالية المتينة، وبدورها تكسب العلاقات الساكنين بعداً ودياً بحيث تحول الألفة والود إلى تعاطف مشترك[3]، فضلاً عن الراحة النفسية واحترام الذات التي تعد من الحاجات النفسية المهمة في هرم ماسلو .

4- الآثار الأمنية :

لتخطيط المدينة (الشرقي) آثاره الإيجابيَّة على المستوى الأمني يتحدد بالمحتوى العمراني الذي يحتضن الساكنين ويمنحهم (الخصوصية المكانية) التي تجعل الشخص الغريب (مصدر الخطر) مكشوفاً ومراقباً من قبل جميع أفراد المنطقة السكنية، كما أن عدم وضوح الهيكل العمراني لتلك المناطق – لغير الساكنين فيها – وتداخل المباني مع بعضها وضيق الشوارع واختلاف مناسيبها[4] يجعل المكان عصياً على أية قوى ترغب في الهجوم والسيطرة عليها، فالتخطيط الشرقي يجبر الغزاة على الفرقة وعدم قدرتهم على استخدام الأسلحة الثقيلة داخل المدينة القديمة، وهو

---

[1]- زناتي جلول، مصدر سابق، ص 106 .

[2]- خالص الاشعب، المحلة العربية بين الاصالة والتحديث، سلسلة المائدة الحرة، بيت الحكمة، مطبعة الأديب البغدادي، بغداد، 1998، ص20 .

[3] – المصدر نفسه .

[4]- أحمد كمال عفيفي. (2010 .(*التخطيط العمراني واثره في برامج الدفاع* Naif Arab . University (NAUSS).

ما يعني توفير الأمن النفسي الذي يعني لدى (ماسلو) الشعور بالأمن والحماية والقانون والنظام والاستقرار وتجنب الألم والتحرر من الخوف[1] .

5- الآثار الحضرية :

لقد عني المسلمون بتشييد المدن وبناء القصور في كل اقليم اقاموا فيه أو بلد فتحوه، فهم يطبعوه بطابعهم العمراني الاسلامي، كما اهتموا بالتدقيق في اختيار الموقع وتخطيطه بل امتدت عنايتهم إلى التكوينات المعمارية بأشكالها الجمالية باعتبار أن الشكل يتبع الوظيفة[2]، وقد كانت مدينة الموصل إحدى المدن العراقية الغنية بأقصى الحدود بالنواحي التراثية[3] وتحمل الهوية الحقيقية للمدينة (العربية – الاسلامية) وتتمتع بقيم جمالية عالية تحاكي تطورات المرحلة التي كان يعيشها المجتمع الموصلي آنذاك، كما ان لتخطيط المدينة القديم آثار تتعدى الجوانب الجمالية وتمتد إلى جوانب (مناخية وصحية) ذات إيجابيَّة عالية على المجتمع .

ثانياً : عوامل تغيير نمط تخطيط مدينة الموصل :

لقد ورثت مدينة الموصل نسقاً ايكولوجياً له خصوصية عربية إسلاميَّة استمر إلى ما قبل دخول عوامل التحديث الغربية بعد الحرب العالمية الثانية[4]، غير أنَّ عوامل التغيير تسارعت وتيرتها، فما بين عامي 1957 و 1977 تغيرت مورفولوجية المدينة ومظهرها الحضري[5] نتيجةً لاتحاد مجموعة من العوامل أجبرت القائمين على القرار التخطيطي على توسعة المدينة وفقاً لنمط تخطيطي حديث، وأبرز هذه العوامل هي :

---

[1]- قاسم حسن صالح . (1987) . الانسان من هو، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الثانية، ص128 .

[2]- عبد المجيد تعنة (2015) .(*العمارة المحلية التقليدية في المدينة الصحراوية بالجزائر بين التدهور وآليات استدامتها* ,**Doctoral dissertation**)) معهد تسيير التقنيات الحضرية، ص31 .

[3]- داوؤد سليم عجاج . (1992) . خطط مدينة الموصل منذ مطلع القرن العشرين، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد 5، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ص243 .

[4]- عبدالله مرقص رابي، مصدر سابق، ص89 .

[5]- داود سليم عجاج، مصدر سابق، ص245 .

1- الزيادة السكانية (الطبيعية والهجرة الوافدة)، فقط شهدت مدينة الموصل زيادة كبيرة في عدد السكان في النصف الثاني من القرن الماضي، فبعد أن كان عدد سكان مدينة الموصل 173,000 نسمة عام 1957 تضاعف خلال 8 سنوات ليصل إلى 264,000 نسمة عام 1965، ولتستمر الزيادة ليصل عام 1977 إلى 414,660 نسمة ثم 656,262 نسمة عام 1987[1] .

2- نمو الاقتصاد العراقي وتطوره وخاصةً بعد اكتشاف النفط وتأميمه عام 1972[2] ودخول العراق إلى سوق النفط العالمية .

3- ودخول السيارة إلى البلاد في مطلع القرن الماضي – ففي عام 1908 وردت إلى بغداد من حلب أول سيارة فخرج أهل بغداد للتفرج عليها[3]- وزيادة أعدادها بعد منتصف القرن الماضي في جميع مدن العراق ومنها مدينة الموصل .

4- بروز التيارات الفكرية المتأثرة بالغرب والقادمة مع الوسائل التكنولوجية الحديثة والعراقيين الذين درسوا في الخارج مثل (أوربا وأمريكا) .

5- التقلبات السياسية والحكومات المتعاقبة التي حكمت العراق، إذ تحاول كل حكومة جديدة أن تظهر اهتمامها بالمدن لكسب تأييد المجتمع .

6- استعانة الحكومات العراقية بالشركات والخبراء الاجانب لتطوير الواقع الحضري للمدن العراقية، وقد كانوا يحملون فكراً تخطيطياً لمدن في دول متقدمة تسببت في اذهال المجتمع العراقي قبل القائمين على القرار التخطيطي مثل (شركة دوكسيادس

---

[1]- موفق ويسي محمود . (2020) . الموصل وما حولها / بحوث سوسيوانثروبولوجية، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ص18 .

[2]- للمزيد من المعلومات راجع " فارس محمود الجبوري . (2010) .تأميم النفط في العراق عام 1972 وموقف دول الخليج العربي، مجلة آداب الفراهيدي، المجلد 2، العدد 2، ص562-587 .

[3]- على الوردي . (1969) . لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثالث، ص 240 .

اليونانية، الخبير كافكا، شركة SCET International الفرنسية التي وضعت آخر تصميم أساس لمدينة الموصل عام 1976)[1] .

7- إنَّ جميع العوامل في آنفًا أدَّت دوراً بارزاً في إحداث تحولات اجتماعية مهمة في التكوين البنائي للمجتمع العراقي عامةً والمجتمع الموصلي على وجه الخصوص وأهمها :

أ- ضعف الالتزام الديني، إذ يؤكد علماء الاجتماع الحضريين على أن التحضر والحياة الحضرية يؤثران على السلوك الديني للفرد ويضعف النزعة الدينية له[2] .

ب- حدوث بعض الاختلالات القيمية التي فرضتها ظروف الحياة من دون وجود رصيد قيمي وسلوكي يضبط الحياة[3].

ت- تغير طبيعة " الحراك الاجتماعي " من الحالة الاستاتيكية إلى الديناميكية بفعل المهنة والكسب المادي .

ث- زيادة ميل الاسرة النواة نحو الاستقلال المكاني عن الاسرة الام بعد توسع المدينة .

ونتيجةً للعوامل آنفًا صار لتخطيط مدينة الموصل (الشرقي) القديم آثار اجتماعية تختلف نوعاً ما عن آثاره السابقة واستمرت حتى وقتنا الحالي، ويمكن تلخيصها بالشكل الآتي :

1- الآثار الاجتماعية : إيجابيَّة، فبسبب التقارب المكاني وعامل الزمن استمرت العلاقات الاجتماعية على شكلها الاولي بين ساكنيه .

2- الآثار الاقتصادية : سلبية بسبب عدم قدرته على توفير المساحات الاقتصادية اللازمة.

---

[1]- يوسف حامد الملا . (2007) . الكفاءة الامنية لتخطيط مدينة الموصل، مجلة دراسات موصلية ،العدد 15، السنة 5، جامعة الموصل، ص107-127 .

[2]- عبدالله مرقص رابي، مصدر سابق، ص 421 .

[3]- حسن عالي . (2019) . القيم المجتمعية وطرق تعلمها وتعليمها، المجلة العربية للآداب والدراسات الانسانية، مصر، العدد 7، ص283-309 .

3- الآثار النفسية : فلم تعد بالمستوى المطلوب بسبب الفقر الذي يعانيه المجتمع جراء (الحروب والحصار والفساد والارهاب) التي مر بها البلاد .

4- الآثار الأمنية : إيجابيَّة فبسبب ضيق الأزقة وعدم نفاذيتها لم يستطيع القوات الامريكية ولا عصابات القتل والخطف من دخولها البتة .

5- الآثار الحضرية : فلم تعد بالمستوى المطلوب وخاصةً بعد الدمار شبه الكامل الذي حل بها بعد احتلال داعش للمدينة وحرب التحرير عام 2017 .

ثالثاً : تخطيط مدينة الموصل (الغربي) الحديث :

ويشمل التخطيط الحديث مناطق توسع المدينة خارج حدود المدينة القديمة (المركز الحالي)، فبعد أن شهدت الموصل في ستينات وسبعينات القرن الماضي توسعاً عمرانيًا وخدميًا هائلاً[1]بدت المدينة بحلتها الحديثة المتمثلة بالنسيج العمراني المفكك والشوارع العريضة والمستقيمة والنافذة المكتظة بالسيارات والوحدات السكنية المتباعدة والمناطق الخضراء والمباني الكبيرة (كما في الشكل أدناه) .

[1]- عبدالله محمد خضر . (2011) . التوسع العمراني لمدينة الموصل في القرن العشرين، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، ص2 .

صورة تبين التخطيط (الغربي) الحديث لمدينة الموصل

وقد كان لهذا النمط التخطيطي الحديث آثار اجتماعية متنوعة (إيجابيَّة وسلبية) على المجتمع الموصلي امتدت منذ العمل به إلى الوقت الحالي وكما يأتي :

1- الآثار الاجتماعية :

لقد كان لتفكك النسيج الحضري والتباعد الفيزيقي لأجزاء المدينة آثاراً سلبية على طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والاسر في المجتمع الموصلي وحولها من علاقات أولية قوية إلى علاقات ثانوية قائمة على المصلحة المادية، كما ضربت مفهوم الانتماء للمكان وأضعفت مفاهيم التضامن والتعاون والمشاركة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي الذي يعد أساس الانخراط في الحياة الاجتماعية المشتركة[1]، كما أسهمت مع مرور الوقت في ظهور ما يسمى بـــ (الصحارى الاجتماعية) بحسب Bill Hillier التي توحي للفرد بالعزلة[2].

2- الآثار الاقتصادية :

تعد الآثار الاقتصادية الإيجابيَّة من أهم مميزات التخطيط (الغربي) الحديث وذلك للأسباب الآتية :

أ- عزل المناطق (التجارية والصناعية) عن المناطق السكنية .

ب- تلبية حاجات السوق للمساحات الواسعة المطلوبة لممارسة نشاطاتها كـــ (المخازن والمحلات التجارية الكبيرة والمولات التي انتشرت في الآونة الأخيرة .

ت- بما أن النظام الحضري يجب أن يمتاز بالديناميكية المستمرة والتعقيد[3]، فان التخطيط الغربي عمل على تسهيل الحركة داخل المدينة وخارجها بالجسور التي تربط جانبي المدينة (الأيمن والأيسر) والأنفاق والشوارع السريعة .

3- الآثار النفسية :

على الرغم من أن المساحات الواسعة للشوارع العريضة والمناطق الخضراء والمفتوحة في جزء المدينة الحديث كانت تعطي راحة نفسية كبيرة وخاصةً في

---

[1]- هادي العنبكي، مصدر سابق، ص13 .

[2]- يوسف حامد الملا . (2007) مصدر سابق، ص 121 .

[3]- فؤاد بن غضبان وفاطمة الزهراء بركاني، مصدر سابق، ص52 .

المراحل الأولى من توسع المدينة، إلَّا أنَّها الأحداث التي مرت بها البلاد ومدينة الموصل منذ العقد الثامن من القرن الماضي وحتى اللحظة أدت إلى احداث تشوهات كبيرة في مورفولوجية المدينة وأثرت بالسلب على الفرد الموصلي، فقد أكدت "نادية الكبابجي" بان 47% من عينة دراستها البالغة (750) فرد يشعرون بالحزن على ما أصاب المدينة كونها ليست مجرد مكاناً جغرافياً فحسب وإنَّما هي مكاناً اجتماعياً فيه ذكريات وأحداث اجتماعية يفرح بازدهارها ويألم بنكوصها العمراني، فضلاً عن 46 % منهم يشعرون بالقلق من استمرار الوضع تجاه ما أصابها[1].

4- الآثار الأمنية :

إنَّ استتباب الأمن داخل المدن الحديثة يعتمد بالدرجة الأساس على مراكز الشرطة المنتشرة في احيائها، وقد حققت هذه المراكز نجاحاً كبيراً في بسط الأمن الداخلي للمدينة حتى عام 2003، غير أن ضعف الدولة وبروز التيارات الفكرية المتطرفة بعد عام 2003 أظهرت الآثار السلبية وبشكل واضحة للتخطيط (الغربي)، إذ وفر هذا النمط المساحات والواسعة والشوارع العريضة لحركة الجماعات المسلحة وسهلت لها تنفيذ عمليات القتل والخطب ومن ثم الهروب السريع، كما أن الآثار الاجتماعية آنفة الذكر أثرت بالسلب على العلاقات الاجتماعية والانسجام بين ساكني جزء المدينة الحديث وهما الوحيدان القادران على بث الطمأنينة والأمن في نفوس السكان[2] .

5- الآثار الحضرية :

على الرغم من أن تخطيط المدينة (الغربي) لا يمثل بشكل حقيقي الهوية الحضارية لمدينة الموصل، إلَّا أنَّه في بداياته أضاف قيمة جمالية كبيرة ونقل صورة المدن الغربية الحديثة المتطورة إلى داخل مدينة الموصل، فضخامة الشوارع

[1]- نادية الكبابجي، مصدر سابق، ص230 .

[2]- نجم عبد الكناني (1986) . المردودات الاجتماعية لتخطيط الأحياء السكنية الحديثة في مدينة الناصرية للفترة (1975 – 1985)، رسالة ماجستير غير منشورة ،مركز التخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد، ص164 .

والجزرات الوسطية المشجرة والحدائق العامة ودور السينما والعمارات التجارية ولوحات الدعاية والاعلانات والمدارس الحديثة وجامعة الموصل وغيرها من الشواهد الحضرية التي تعد أمراً ضرورياً في التجمعات العمرانية المختلفة[1] غيرت النظرة الإيجابيَّة للفرد الموصلي نحو المدينة القديمة فقط وجعلت كلاً من جزئي المدينة له مميزات جمالية خاصة به، غير أن تهالك جزء المدينة الغربي بسبب الأحداث الأخيرة (حروب واحتلال وفساد وارهاب) أثرت سلباً على الواقع الحضري لمدينة الموصل .

رابعاً : نمط التخطيط المقترح لمدينة الموصل :

لأجل الارتقاء بمستوى تخطيط المدينة والحياة الحضرية لمجتمع مدينة الموصل ومواكبة التطورات الاقتصادية والتكنولوجية الحديثة وتدعيم البعد الاجتماعي ومنح الفرصة الكافية للإبداع والاستمتاع بكل أوجه الحياة الحضرية[2]، فإنَّ من الضروري على القائمين على القرار التخطيطي في المدينة الاستعانة بالخبراء والمختصين المحليين والدوليين من أجل بلورة فكرة تخطيطية جديدة وحديثة تأخذ بعين الاعتبار الإيجابيات في الثنائية (الشرقية – الغربية) وتتجاوز سلبياتهما عند اعادة تأهيل وتوسعة مدينة الموصل وذلك باعتماد المبادئ الآتية :

1- الاستمرار باستخدام الشوارع العريضة والسريعة والمستقيمة خارج الاحياء السكنية لتسهيل حركة اقتصاد المدينة .

2- منح الاحياء السكنية الحديثة نوعاً من الخصوصية المكانية بتحديد مداخلها وخارجها لتحقيق البعد الأمني .

3- من أجل تحقيق البعد الاجتماعي فانه من الضروري التأكيد على مبدأ الخصوصية للشوارع والازقة الفاصلة بين الوحدات السكنية وذلك باتباع نظام الازقة غير النافذة والأزقة المرجعة .

---

[1]- عثمان محمد غنيم، مصدر سابق، ص45 .

[2]- فؤاد بن غضبان . (2015) . المدن الجديدة دوافع وممارسات، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ص26 .

4- اعادة بناء المنشآت السياحية وترك مساحات خضراء لتحقيق الراحة النفسية لأفراد المجتمع .

5- الاستعانة بالخبراء في مجالي (الفن والهندسة) لإعادة تأهيل المدينة القديمة بما يتلاءم مع قيمتها التقليدية والحضرية .

- **نتائج الدراسة :**

بما تم طرحه من آثار (إيجابيَّة وسلبية) للثنائية (الشرقية – الغربية) في تخطيط مدينة الموصل على المجتمع الموصلي فانه من الممكن تلخيصها بالجدول الآتي الذي يقارن بين نمطي التخطيط وفقاً لمتغير الزمان وكما يأتي :

الآثار	التخطيط الشرقي				التخطيط الغربي			
	سابقاً (منذ النشأة)		حالياً		سابقاً (منذ ستينات القرن الماضي)		حالياً	
	ايجابي	سلبي	ايجابي	سلبي	ايجابي	سلبي	ايجابي	سلبي
الاجتماعية	✓	×	✓	×	×	✓	×	✓
الاقتصادية	✓	×	×	✓	✓	×	×	✓
النفسية	✓	×	؟	؟	؟	؟	×	✓
الأمنية	✓	×	✓	×	✓	×	×	✓
الحضرية	✓	×	؟	؟	✓	×	؟	؟

وبالجدول أعلاه يود الباحث أن يبين ما يأتي :

1- (✓) يعني أن الآثار إيجابيَّة .

2- (×) يعني أنه لا يوجد أثر (سلبي أو ايجابي) في ذلك الحقل .

3- (؟) أي ان الأثر ليس بمستوى الطموح .

- **الخاتمة :**

ويبقى القول إنَّ تخطيط المدن ليس عبارة عن ترتيبات هندسية للمساحات والكتل فحسب بل أنَّها محاولة لمحاكات الواقع الاجتماعي لحياة السكان، فما قيمة المدينة اذا كانت تحمل قيم جمالية واقتصادية عالية دون أن تحقق هدف الانتماء للمكان وتوفر الراحة النفسية للمجتمع، فالبعد الإنساني في تخطيط المدن لا يقاس بكمية ما يتوفر للإنسان من مساحة بل ما توفره المساحة من إحساس بها مهما كان حجمها، فإذا وصل المخطط لهذا المستوى من الرقي الفكري صارت الأبعاد الأُخرى رهن إشارته.

References

- Hassan Al Khyat (1998**). The Gulf City / The Problematic of Authenticity and Modernity in Planning and Architecture**, Journal of the Center for Documentation and Human Studies, Issue 10,
- Abdullah Morcos Raby. (1995). **Urbanization in the City of Mosul between 1947-1987**, unpublished doctoral thesis, College of Arts, University of Baghdad.
- Nadia Sabah Al-Kababji. (2021). **Deformation of the City's Morphology and its Repercussions on Urban Life / a Field Study in the City of Mosul After 2003**, an unpublished doctoral dissertation, College of Arts, University of Mosul.
- Youssef Hamed Al-Mulla. (2003). **Social Controls in the Preparation of Basic Designs for Cities / Study Area, Mosul City**, unpublished master's thesis, Urban and Regional Planning Center, University of Baghdad.
- Othman Muhammad Ghoneim. (2013). **Planning services and social facilities from an urban perspective**, Dar Safa for publishing and distribution, Amman.
- Zanati Jaloul. (2015). **Urban growth and its repercussions on the urban environment**, methodology house for publication and distribution, Amman.
- Fouad bin Ghadban and Fatima Al-Zahraa Berkani. (2016). Urban Project / New Department for Urban Planning, Methodology House for Publishing and Distribution, Amman.

- Balbo, M. (1993). Urban planning and the fragmented city of developing countries. Third World Planning Review, 15(1), 23
- Oliveira, V., & Pinho, P. (2010). Evaluation in urban planning: advances and prospects. Journal of Planning Literature, 24(4),
- Ahmed Al-Soufi. (1970**). History of the Municipality of the City of Mosul,** Al-Jumhur Press, Mosul,
- Saeed Al-Diwaji (1982) **The History of Mosul, Part One**, Publications of the Iraqi Scientific Academy, ,
- Hadi Al-Anbaki (1999) **The Social Dimensions of Urban Planning in the Arab World,** The Free Table Series, Al-Yarmouk Press, Baghdad,
- Abd al-Fattah Muhammad Fathi and Yusuf Hamid al-Sabawi, (2019) **Craftsmanship Skills and their Relationship to the Rural and Urban Sbackground / a Field Study in the City of Mosul**, Al-Rafidain Arts Journal, Issue 97, Year 49, University of Mosul, , pp. 667-694.
- Khalis Al-Ash'ab (1998) **The Arab Mahalla between Authenticity and Modernization, The Free Table Series,** House of Wisdom, Al-Adeeb Al-Baghdadi Press, Baghdad, , p. 20.
- Ahmed Kamal Afifi. (2010). **Urban Planning and its Impact on Defense Programs**. Naif Arab University (NAUSS).
- Qassem Hassan Saleh. (1987**). A person is who he is**, House of General Cultural Affairs, Baghdad, second edition
- Abdul Majeed Taana (2015)). **Traditional Local Architecture in the Desert City of Algeria between Deterioration and the Mechanisms of its Sustainability** (Doctoral dissertation, Institute for the Management of Urban Technologies,
- Daoud Salim Agag. (1992) **Mosul City Plans since the Beginning of the Twentieth Century, Mosul Civilization Encyclopedia,** Volume 5, Dar Al-Kutub for Printing and Publishing, Mosul,
- Mouafaq Wessi Mahmoud. (2020). **Mosul and its Environs / Socio-anthropological Research,** Dar Sotoor for publication and distribution, Baghdad,

- For more information, see Faris Mahmoud al-Jubouri (2010). The nationalization of oil in Iraq in 1972 and the position of the Arab Gulf states, Adab al-Farahidi Magazine, Volume 2, Issue 2,
- On pink. (1969). **Social Glimpses of Iraq's Modern History**, Part Three,
- Youssef Hamed Al-Mulla. (2007). **Security Efficiency of Mosul City Planning**, Mosuliya Studies Journal, Issue 15, Year 5, University of Mosul,
- Hassan Aali. (2019). **Societal Values and Methods of Learning and Teaching them**, Arab Journal of Arts and Human Studies, Egypt, No. 7,
- Abdullah Muhammad Khader (2011) **The Urban Expansion of the City of Mosul in the Twentieth Century**, Center for Mosul Studies, University of Mosul, Dar Ibn Al-Atheer for Printing and Publishing,
- Najm Abdel Kinani (1986). **The Social Impacts of Planning Modern Residential Neighborhoods in the City of Nasiriyah for the Period (1975-1985)**, Unpublished Master's Thesis, Urban and Regional Planning Center, University of Baghdad,
- Fuad bin Ghadban. (2015). **New Cities Motivations and Practices,** Dar Al-Radwan for Publishing and Distribution, Amman.

Duality (Eastern-Western) in Iraqi cities planning and its social effects An analytical study in Mosul city

Yousif Hamid Al-Sabaawi *

Abstract

The Iraqi cities, including Mosul city, have been characterized since their inception by the organic (Oriental) character in their urban planning, under pressure from several factors (social, economic, psychological, security) imposed by the time period and the conditions in which the society was living at the time, but the

* **Asst.Prof/Department of Sociology/College of Arts/University of Mosul.**

increase in the population of cities and the entry of (the car) into the country, In the thirties of the last century and the influence of intellectual currents resulting from the Western cultural invasion, it called on those in charge of city planning to change their ideological belief to match the requirements of the modern era.

Mosul city is no longer that city that was known for its traditional planning with narrow and windowless alleys and adjacent housing units that tell the story of the lives of its residents and their solid social relations and the feeling of belonging to the place and owning it and defending it with money and spirit if necessary, and to replace it with a city whose planning is dominated by (Western) character, interspersed with streets The petition and the spaced housing units that produced a variety of effects (negative and positive) on the residents of the community .

Although what was presented above may be tainted by a perception of the tendency towards traditional (Eastern) planning and the rejection of modern (Western) planning, the current research represents a call for those in charge of planning Iraqi cities in general and the city of Mosul in particular to combine the two ideas (Eastern and Western) to benefit from the positives and overcome the negatives in both and crystallize in a modern idea of a modern residential city in line with the requirements of the modern era and achieve the desired social dimension.

Key words: Duality ؛Eastern Planning ؛Western Planning ؛Mosul City ؛Social.